

ادب النديم

ادب النديم

لأديب زمانه وأريب عصره وأوانه

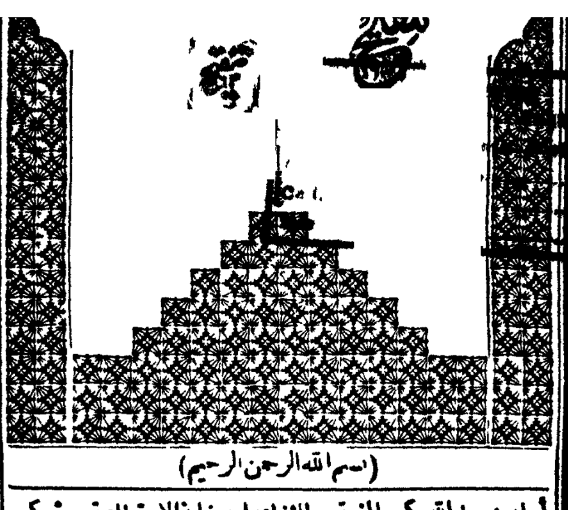
أبى الفتح محمود بن الحسين الكاتب

المعروف بكشاجم لازال

منهلا عليه احسان

ربه الكريم

الدائم



(بسم الله الرحمن الرحيم)

أما بعد حمد الله بكنه النية والثناء عليه بغاية الاستطاعة وشكره على ما خص به أهل الادب من الفضيلة وأحلهم اياه من المنزلة الرفيعة لالتئامهم بالنفوس وتمكنهم من القلوب وتنزههم عن العيوب فاني وجدت من تقدم من العلماء وعني بتأليف الكتب من الادباء قد جردوا بذكر الشراب كتبا ضمنوها من نعوت أصنافه وأوصاف محرمه ومحلله وتبيين خصاله ولطائفه وحدود منافعه ومضاره وضروب ملاذه ومساره وما استغرقوا فيه المعنى واستوفوا به المدى وأغفلوا ذكر النديم بما يجب ذكره والتنبيه على منزلته وموقعه وافراده من القول بما يبين عن فضله ويدل على محله الا في جمل أدرجوها ولم يبسطوها ولمع في أطراف الكتب فرقوها ولم يؤلفوها (فاحببت) أن أجرد في ذلك كتابا أفصله

وأبوبه وأوفى كل معنى فيه حقه وأضم الى كل شكل شكله وأجمع الى ما استطيبه القريحة أحسن ما وجدته فى هذا المعنى متفرقا فى أمثال الحكماء ومنظوم الشعراء ومنثور البلغاء وأخبار الظرفاء وأودعه من أدب النديم ما لا يستغنى عنه شريف ولا يجوز أن يخل به ظريف ليكون منهجا واضحا لمن نظر فيه واماما يقتدى به من وقع اليه وأسأل الله حسن التوفيق لسديد المقال والسلامة من الزلل والعثار بمنه وقدرته

باب مدح النديم وذكر فضائله

وذم المنفرد بشرب النبيذ

(أخبرنى) جماعة من الموثوق بهم فى اللغة ان العرب انما سمت النديم نديما لانه يندم على فراقه وفخر امرؤ القيس مع شرفه وملوكيته بالندام فقال

وناد مت قيصر فى ملكه * فأوجهنى وركبت البريدا

وقال المتقدمون كاتب الرجل لسانه وحاجبه وجهه وجليسه كله وقالوا اذا رأيت علا فانظر من كاتبك فانما يعرف مقدارك من بعد عنك بكتابك واستعقل حاجبك فانه يقضى عليك الوفود قبل الوصول اليك بحاجبك واستظرف نديمك فانما يزنك الداخل اليك بمثال من يراه معك * وفاخر كاتب نديما فقال الكاتب أنا معونة وأنت مؤنة وأنا للجد وأنت للهزل وأنا للشدة وأنت للذة وأنا للحرب وأنت للسلم فقال النديم أنا للنعمة وأنت للخدمة

وأنا العداوة وأنت المهمة تقوم وأنا جالس وأنت تحتشم وأنا مؤانس تدأب لراحتى وتشقى لسعادتى فأنا شريك وأنت معين كأنك تابع وأنا قرين الآن بعض البخلاء يقول

اذا وجدت المدام فاغن بها * عن كل من فى ندامه صلف
فى شربها من ندامه خلف * وليس فيه من شربها خلف
فلا يشاركك فى السرور بها * مشارك كل شركة أسف

فما زاد بهذا القول على أن بين مكانه من البخل والجهل بل هو فى ذلك كما قال أبو نواس * حفظت شيأ وغابت عنك أشياء * ولعمرى ان للنبيذ الفضائل التى لا تدفع والخصائص التى لا تجحد والقوى التى تعكس الاضداد وتعدل المزاج وتصحح الطباع وهو الموصوف بتشجيع الجبان وتقوية الجنان واطلاق اللسان وتبسيط البنان الآن فيه بازاء هذه الخلال أشياء تقدح فى محاسنه وتبين عن مساويه منها أن صاحبه يتكرهه قبل شربه ويكلح عند شمه ويغتنم أن يفضل فى قدحه ويكثر عتاب ساقيه ويعاقر عليه ويعزجه لغيرطعمه ويتجرعه ولا يكاد يسيغه ويتعذ بالنقل بعده ويعانى من الدوار والخمار ما لا خفاء به حتى لقد قال بعض الادباء لولا أن الخمور ربما قصته لقدم وصيته ثم السكر هو أكبر عيوبه حتى ان الملل كلها مجتمعة على تحريمه غير مختلفة فيه وحتى لقد حرم الخمر فى الجاهلية جماعة من كبراء العرب وأفاضلهم لما نالهم من معرة السكر منهم قيس بن عاصم السعدى وعامر بن الظرب العدوانى وعفيف بن معديكرب ومقيس بن

صبابة

صبابة السهمى وعبد الله بن جدعان وكثير من هذه الطبقة نكره الاطالة بذكر أسمائهم فالقيس بن عاصم فى تحريمها

رأيت الخمر مصلحة وفيها * خصال تفسد الرجل الكريما
لان الخمر تفضح شاربيها * وتجنيهم بها الامر العظيما
اذا دبت حمياها تعالت * طوالع تسفه الرجل الحليما

وقال مقيس بن صبابة

رأيت الخمر طيبة وفيها * خصال كلها دنس ذميم
ولا والله أشربها حياتى * طوال الدهر ماطلع النجوم

فأما مقيس بن صبابة فانه كان سكر فجعل يخط ببوله ويقول نعامة أو بعير فلما أفاق اخبر بذلك فحرم الشراب * وأما عبد الله بن جدعان فانه سكر وجعل يساور القمر فلما أصبح وخبر بذلك حرمه أيضا (وقيل) لاعرابى تشرب النبيذ قال أشرب مايشرب عقلى وقيل لبياذوق لم تركت النبيذ فقال رأيت صاحبه لا يروى منه ووجدت بعضه يدعو الى بعض فتركت قليله لكثيره * ومن كان يشربه للشهوة الغالبة فقط ولا يبالى على أى الحالات شربه منفردا وحده أو مجتمعا فيه مع غيره جماعة لا يتهمون فى عقل ولا رأى الا أن افراطهم فى هذه الشهوة ابطلهم وغلب عليهم ففسدت حال دنياهم ودينهم منهم أبو الهندى شبث بن ربعى التميمى ومر به نصر بن سيار الليثى وهو يميل سكرا فقال له أفسدت شرفك فقال لولم أفسد شرفى لم تكن أنت والى خراسان * وحارثة بن بدر الغدانى وكان غلب على زياد وغلب الشراب عليه فعوتب زياد فى الاستئثار به فقال كيف

أطرح رجلا هو يسايرني منذ دخلت العراق فلم تصطك ركباه بركابي ولا تقدمني فنظرت الى قفاه ولا تأخر عني فلويت عنقي اليه ولا أخذ على الشمس في شتاء قط ولا سألته عن باب من العلم الا ظننت أنه لا يحسن غيره * والوليد بن عقبة وكان أميرا على الكوفة فصلى بهم صلاة الفجر ثلاثا ثم التفت اليهم في وقت التسليم فقال أحسبكم وأزيدكم * وأبو محجن الثقفي وكان مجربا مغرما بالشراب وله مع سعد بن أبي وقاص في الشراب اخبار يطول شرحها ومن لم نذكر أسماءهم من هذه الطبقة كثير فاذا كانت هذه صورة النبيذ فانه يغتفر له ماذكرنا ويتجوز فيه ويتجافى عنه لما بني عليه وجعل سببا اليه من اجتماع الشمل وأنس المنادمة واريحية المذاكرة ولو انفرد النبيذ بنفسه وحصل عليه وحده دون النديم المساعد والسماع المطرب لكان الوعاء أولى به فتبين بهذا أن المعاقر أفضل من العقار والنديم فائدة المدام وأنشدني منشد

لم يكن بيننا رضاع ولكن * ولدت بيننا المدام رضاعا

ان يكن أول المدام رضاعا * أو يكن آخر المدام صداعا

فلها بين ذا وذاك هنات * وصفها بالسرور لن يستطاعا

ومن جيد ما مدح به النديم قول بعض المتقدمين

أرى للكأس حقا لا أراه * لغير الكأس الا للنديم

هو القطب الذي دارت عليه * رحى اللذات في الزمن القديم

فاما قول أبي نواس أمير هذا الشان وفارسه

خلوت بالراح أناجيها * آخذ منها وأعاطيها

نادمتها

نادمتها اذلم أجد مسعدا * أرضاه أن يشركنى فيها

فهذا بعد ادغا يدل على فضل النديم وانه لم يتفرد بالنبيذ مختارا وانما توحد به ضرورة لقوله انه لم يجد نديما مرتضى أوليس هو القائل

الراح طيبة وليس تمامها * الا بطيب خلائق الجلاس

ولم تقع أبيات فى مدح نديم أحسن من قول أبى مسهر الطائى

وندمان يزيد الكأس طيبا * سقيت وقد تغورت النجوم

وللعطوى أشعار كثيرة فى الندام كلها مختارة فمنها

يقولون قبل الدار جار موافق * وقبل الطريق النهج أنس رفيق

فقلت وندمان الفتى قبل كاسه * وما حث سير الكاس مثل صديق

وقال أيضا

الراح والندمان أحسن منظرا * من كل ملتف الحدائق رائق

فاذا جمعت صفاءها وصفاءه * فاقذف بكل ملامة من شاهق

ولقد ملح عصابة الجرجرائى فى قوله

اقرا السلام على الامير وقل له * ان المنادمة الرضاع الثانى

باب اخلاق النديم وصفاته

وليس أحد من أصحاب الملوك وخلطائهم هو أولى باستجماع محاسن الاخلاق وأفاضل الآداب وطرائف الملح وغرائب التحف من النديم حتى انه ليحتاج أن يكون فيه أشياء متضادة فيكون فيه مع شرف الملوك تواضع العبيد ومع عفاف النساك مجون الفتاك ومع وقار الشيوخ مزاح الاحداث وكل واحدة من هذه الخلال هو

مضطر اليها فى حال لا يحسن أن يخل بها فيها او وقت لا يسعه العدول عنها والى أن يجتمع له من قوة الخاطر ما يفهم به ضمير الرئيس الذى ينادمه على حسب ما يبلوه من أخلاقه ويعلم من معانى لحظه واشارته ما يغنيه عن تكلف عبارته والافصاح به فيسبقه الى شهوته ويبدره الى ارادته كما قال بعض الكتاب

وندیم حلو الحدیث يجاريك بما تشتهيه في ميدانك
ألمعي كأن قلبك فى اضلاعه أو كلامه بلسانك

ومن صفة النديم أن يجمع الى الصبر على مضض الجوع احتمال كظة الازدياد على الشبع لانه مدفوع الى مؤاكلة أحد رجلين اما مضنى شديد المحبة لان يؤكل طعامه فيطالبه بالاكثار ومساعدته عليه ومساواته فيه فاذا فعل ذلك حظى عنده وقرب من قلبه بالمؤاكلة فان قصر أنزل ذلك منه على التخيل له وتعمد التنغيص عليه فيكون حاله فيه كحال محمد بن عبد الملك الزيات فانه قال أعين على أحمد بن أبى دواد بأشياء لم أعن عليه بمثلها حتى انه أعين على فى تمكن حاله عند الواثق بأنه كان طيب الاكل طحون الضرس هضوم المعدة وكنت على خلاف ذلك فحضرته يؤاكل الواثق وليس معهما ثالث ودعانى الواثق الى الطعام فاقبلت أنقر على حسب عادتى وخمود شهوتى وهما يتباريان فى تكبير اللقم وجودة الاكل فلما رأى أحمد ذلك منى قال يا أمير المؤمنين ما جلوس هذا المحتمى معنا يحصى علينا اللقم اما أن يأكل كما نأكل فيوافقنا حق المؤاكلة ولم يحشمنا أو ننهض فتنفرد بمؤاكلة أمير المؤمنين من يحسن حضورها ويقابلها

بما يشبههما فقال الواثق قد صدق أحمد فكل أودع فاغتال الكتاب أن نهضت أو اشتهى طعاما بمنزلة سمعه وبصره فان أسرع فيه أو تناول أطايبه فكأنما يأكل من جوارحه فهو مضطر الى أن يجاهد نفسه ويغالب طباعه حتى يألف هاتين الحالتين ويجرى على هاتين العادتين فيكون حينئذ أتم فى آلات المنادمة وأقهر لسلطان الشهوة ممن يعتقد على تقديم الا كل فى منزله ويتعالى بمثل ما رأينا جماعة من المترسمين بالندام يستعملونه من اتخاذ الخازن مملوءة أدهانا فى خفاف غلمانهم أو اللفافات مدرجة فى المناديل اذا أمكنهم ذلك فاذا امضهم الجوع وشحذهم الشراب تغنموا الغفلة وانتهزوا الفرصة فتناولوا ما أعدوا من ذلك فى الخلوات وربما كان فى المذاهب وما أشبهها من المواضع الخسيسة وكل ذلك قبيح جدا وفيه أشياء مذمومة منها انه لا يؤمن أن يطلع عليها بعض حاشية المنادم فينهيها اليه فيوغر بقلبه ويحفظه ويرى أنه فى ذلك الفعل قد هجاه وبخله لانه ليس كل ذى خلق دنىء يعترف به من نفسه بل كثير من ذوى العيوب يعمى عن عيوبه أو يتعذر الموضع الذى يؤخذ مثل ذلك فيه فيناله جسمه من الضرر بمفارقة العادة وفقد النفس شيأ قد تطلعت اليه وتشوقت له امابعلة ومرض أو بعلة رئيسه ويقسم عليه أن لا يأكل الا معه فيضمن له ذلك ويعده به ويخالف فيكون قد خان ونكث * وكان عيسى بن جعفر الهاشمى يفعل هذا مع الرشيد كثيرا وكان الرشيد يثلبه عليه ويذمه ويبكته به فمن ذلك أنه قال له فى بعض العشيات وبجماعة من جلسائه

قد اشتهيت أن آكل في صبيحة غد هريسة وقد تقدمت باتخاذها ولا يخالط بها غيرها فاقاموا على البكور واجروا أنفسكم الشهوة ووفروها على الهريسة وكان بعضهم ملازما لعيسى خصيصا به فحكى انه غلس الى منزله ولم يكن يحجب عنه فألفى عيسى جالسا بين يديه بقية شمعة وطبق كبير عليه طيفوريتان عظيمتان احداهما مملوءة هريسة وفي الاخرى ثلاث غضارات صينية فيهن مري ودارصيني وفلفل ورقاق لطاف لاتنفصل عن الكف وهو يأخذ الرقاقة فيلوثها ثم يمرها على تلك الغضارات ويزدردها قال فقلت يا سبحان الله أنسيت ما اتفقت عليه مع أمير المؤمنين فقال لا تعجب فهذه الطيفورية الثالثة فامسكت يده وجذبت الطبق وجبرته على غسلها وركبنا فوافينا أمير المؤمنين جالسا على حصير الصلاة حين انفتل من صلاته وهو يتمم تسبيحه وروائح الهريسة قد ملأت الدار فقال لقد أبطأتما ودعا بالطعام فاحضر فاندفع عيسى يأكل كأنه لم يذق شيأ منذ أيام فلم أتمالك أن ضحكت فقال الرشيد ماهذا قلت لا أصدقن أمير المؤمنين عن خبر عيسى قال ايه قلت كان من أمره كيت وكيت قال أتراني شككت في انه يفعلها اعلم انه لولم يفعل لا كان وأكلت • فاما العبث والمزاح فله من المنادم موقع لطيف ومحل خصيص اذا تبين النديم منه نشاطا للذلك وقال قائل للمامون أياذن أمير المؤمنين في المداعبة قال وهل العيش الا فيها (وقدم) العتابي عليه وعنده اسحق بن ابراهيم الموصلي فسلم ورد عليه وجلس وأقبل يسأله عن حاله ويجيبه بلسان طلق فاستظرفه

وأخذ معه في مداعبته فظن الشيخ أنه قد استخف به فقال يا أمير المؤمنين الايناس قبل الابساس ثم أخذوا في المفاوضة والحديث ❊ وأغرى المأمون اسحق بالعبث بالعتابي فاقبل يعارضه في كل ما يذكره ويزيد عليه فعجب منه ثم قال أتأذن أمير المؤمنين في مسئلة هذا الانسان عن اسمه ونسبه قال افعل فقال العتابي من أنت وما اسمك قال أنا من الناس واسمي كل بصل فقال العتابي أما النسبة فمعروفة وأما الاسم فمنكر وما كل بصل من الاسماء قال اسحق ما أقل انصافك وما كلثوم من الاسماء البصل أطيب من الثوم فقال العتابي لله درك ما أرجحك ما رأيت يا أمير المؤمنين كالرجل قط أفتأذن لي في صلته بما يصله به أمير المؤمنين فقد والله غلبني فقال المأمون بل هو موفر عليك وتأمر له بمثله وتم ضافانصرف اسحق بالعتابي الى منزله ونادمه بقية يومه ❊ ومما يزيده في المحل تقدما وعند ملكه ورئيسه تعظيما وتمكنا أن يكون عالما بكل ما يتنافس فيه الملوك ويغالون فيه من الرقيق الثمين والجوهر النفيس والآلات المحكمة وأنواع الطيب والفرش الى غير ذلك من الخيل والسلاح وسائر ما يهدى مثله الى الملوك في مجالس لذاتهم وتعرض عليهم أوقات نشاطهم فمن أبرد من النديم مجلسا وأكسف منه بالا اذا عرض على الملك شيء من هذه الاعلاق فاعتمد فيها على معرفته واستعان على تخيرها ببصره ورجع في استفادتها الى نظره وتفقيه فلم يحر جوابا في ذلك ولم يحط بشيء منه علما ❊ ويستظرف منه أن يصف الالوان الغريب من الطبيخ والصوت البديع والشعر الشجي واللحن من

الغناء ورأيت الملاح من أهل هذه الطبقة يقولون ان من لم ينشد عشرة أصوات ويحكم من غرائب الطبخ عشرة ألوان لم يكن عندهم ظريفا كاملا ولا نديما تاما ولقى من الكتاب فى هذا المعنى

تعالوا الى الخل الذى لم يزل بكم * يطاول على ريب الزمان ويشمخ
فقد حصلت عندى لكم فتعجلوا * ثلاث دجاجات سمان وأفرخ
وراح وريحان ومسك وعنبر * نبخر أحيانا به ونضمخ
ومسمعة كالبدر تشدو بصارخ * تهادى القلوب نحوه حين يصرخ
وها أنا ذا طباخكم ولربما * رأيت ظريف القوم يشدو ويطبخ
سوى انه لا يقطع اللحم كفه * ولا هو ان لم توقد النار ينفخ
وانى لاستخذى لاهل مودتى * وأزهى على أهل المعالى وأبذخ

ولا يستحق النديم هذا الاسم حتى يكون له جمال ومروءة أما جماله فنظافة ثوبه وطيب رائحته وفصاحة لسانه وأما مروءته فكثرة حيائه فى انبساط الى جميل ووقار مجلسه مع طلاقة وجهه فى غير سخف ولا يستكمل المروءة حتى يسلو عن اللذة وقيل للعتابى ما المروءة قال ترك اللذة قيل له فما اللذة قال ترك المروءة

باب التداعى للمنادمة

قد آثر بعض الظرفاء من اسقاط التصنع فى هذا الباب ما هو أليق بالمؤانسة وأنفى للانقباض والحشمة ولو لم يكن فى الاحتفال من النقيصة والاقتضاب من الفضيلة الا أن المحتفل قد ضيق العذر على

نفسه

نفسه فى تقصير ان كان منه والمقتضب مغتفر له ذلك لكنى به (وروى) ان رجلا دعا أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فقال آتيك على أن لا تدخر عنا ما عندك ولا تتكلف لنا ما ليس فى وسعك (وقال) المأمون لجعفر بن سليمان الطيب والطعام لا يزيد فى جودتهما كثرة الانفاق عليهما ولكن اصابة المعنى وكتب الى صديق لى

قم بنا نقتضب صبوحا مليحا * يسعد الله لى بك اليوم جدى
لم أبيت له اعتزاما ولا قلت غدا كن فدتك نفسى عندى
فهو طيبا وموقعا كحبيب * جاءنى زائرا على غير وعد

(وحدثنى) بعض شيوخنا عمن حدثه أن ظريفا من الكتاب احسبه الحسن بن سهل بلغه أن عبد الله بن يزيد عشيق أبى تمام الطائى الذى يقول فيه

يا شبيه النبى فى سورة الجن ويا ثانى الولاة بمصر

احتفل لدعوة دعاها احتفالا شديدا وتعمل لها حتى اشتهر أمرها قبل وقوعها فكتب اليه أما ارتفعت عن تثبيت الدعوات بعد (ودعا) محمد بن عبد الله بن طاهر رجل من أصحابه دعوة تقدم فيها فاحتفل لها فلما حضر محمد طالبه بالطعام فطاله ليتكامل ويتلاحق على ما أحبه من الكثرة والحفلة حتى تصرم أكثر النهار ومس محمدا الجوع فتنغص عليه يومه وأراد محمد سفرا فشيعه هذا الرجل حتى اذا دنا منه ليودعه قال له أيها الامير بشئ قال نعم تحمل طريقك فى عودتك على محمد بن الحرث بن بشير فاسأله أن يعلمك الفتوة فمضى حتى

دخل الى مجـدبغتة فقال له بعض الملوك الامير لتعالى الفتوة فضحك وقال يا غـلام هات ما حضر فاتى بطبق كبير عليـه ثلاثة أرغفة من انظف الخبز وأنقاه وسكرجات مرى وخل وملح من اجود ما يتخذ من هذه الاصناف وابتدأ يا كل فجاءته قصيلة باردة من مطبخه وتداركها الطباخ بطباهجة و وافاه من منزل حرمه قضـيلة اخرى واهـدى له بعض غلمانه جام حلواء فانتظم له خفيف ظريف فى زمان يسير و بغير احتشام وانتظار (وسمعت) بعض الاغنياء يعتذر من ترك التحفل بعذر ما احسن الاعتذار قط الامن مثـله وذلك أنه قال ما يمنعنى من الاحتفال الا الاستظهار فقلت له وكيف ذلك قال أكره ان أحتفل فيتأخر عنى من ادعوه اماعن عـد اوعائق فاكون قد تكلفت مالم ينتفع به فقـال فى ذلك بعض اخوانه

اذا كنت لا تدع الاحتفا ء ل الا لأنك تسـتظهر
فلا تدعون احـدا بتة * فهذا هو النظار الاوفر
ولاسـيما انا من بينهـم * فانى وحقك لا أحضر

(وكان) آخر لا يشرع فى شئ من آلة الدعوة حتى يحضر اخوانه و يأمن تاخرهـم فحينئذ يامر باصـلاح ما يحتاج اليه على مقدار قد عرفه فـلا يلحق طعامه حتى يتصرم يومهـم وتضطرم نار الجوع فى احشائهم فقال فيه بعضهم

خاف الضـياع على شئ يعجـله * من المطاعم اذ اخوانه ثقـلوا
فليس تعلوعلى الكانون برمته * حتى يرى أنهم فى البيت قد حصلوا

(وخبرنى) بعض من أثق بصدقه عن بعض البخلاء انه دعا قوما فابتاع

الهم جديا واشفق من ان يذبحه فلا يحضر وافتخر الجدى فذوره وعمل على انهم ان حضروا ذبحه واحضره كهيئة المسموط وان تاخروا استحياء ولم يذبحه وليس هؤلاء باذراطهم فى هذا الاستظهار القبيح والنظر الرقيق بالذم ممن يدعى فيجيب ويحصل ذلك على نفسه و يوثق منه بالوفاء به ثم يتثاقل عن الداعى الملهوف حتى يجيعه ويجيع اخوانه و يشغل عليه عمره و يبرد عليه طعامه ويردد غلمانه ويطيل التشوق اليه فجزاء هذا عندى بعد الاستظهار عليه بالجفة واعادة الغلام اليه بالرسالة أن يستاثر اخوانه بالمؤا كلة دونه متعمدين بذلك الاستخفاف به ليؤدبوه ان كانت به مسكة ويفهموه ان كانت له فطنة وقد جاء فى الخبر المأثور فى اجابة الدعوة وترك التاخر عنها ما يجرى مجرى الفرض الواجب وهو قول النبى عليه السلام من دعى الى طعام فليجب فان كان مفطرا فليأكل وان كان صائما فليصل والصلاة ههنا الدعاء مثل قوله ولا تصل على أحد منهم مات أبدا أى لا تدع لهم ولا تترحم عليهم فاذا كان الصائم قد أمر بالحضور فكيف بالمفطر ومن قد أجاب ونالنى ذلك من فتى تباطأ فكتبت اليه

تأخرت حتى كددت الرسول * وحتى سئمت من الانتظار
وأوحشت اخوانك المسعدين * وجئتهم بشباب النهار
وانضرمت للجوع احشاؤهم * بنار تزيد على كل نار
فان كنت تأمل أن لا تسب * فانت وحقك عين الحمار

وكان يقال ثلاثة تضنى سراج لا يضئ * ورسول بطئ * ومائدة ينتظر

بها من يحيى * وقال آخر المودة تعززه غرتها الزيارة وقال آخر المودة روح والزيارة شخصها * وكتبت الى صديق لى دعوته فتثاقل عنى واعتل بعارض عله

بابى أنت تباغضت وما كنت بغيضا
جاءنى منك جواب * كان للعهد نقيضا
أنت لم تمرض ولكن * أحسب الود مريضا
ولقد فاتك لهو * لست منه مستعيضا
ومدام شاكلت فى الكاس ياقوتا نضيضا
وحديث ونشيد * شاب نحوا وعروضا
وغريض من غناه * فاق فى الحسن الغريضا

وكتبت الى آخر

كتبت وعندنا روح وراح * واخوان تخيرهم ملاح
وبيضاء السوالف ذات عود * يناغيها غانية فصاح
واحور من ظباء الروم ساق * كغصن البان تثنيه الرياح
بديع ملاحة يدعى نجاحا * ولكن ما لوعده نجاح
له طرر تصف على جبين * كمثل الليل قابله الصباح
تحلى بالمناطق وهو ممن * يليق به القلائد والوشاح
وساطعة الشعاع رضاب نحل * حلال الشرب ليس بها اجناح
وللوسمى بالقطر انهدار * وللشرب ابتهاج وارتياح
شرابهم سرور وادكار * وشدوهم اختيار واقتراح
وبين الضرب والاوتار حرب * وبين الناى والراح اصطلاح

فزرنا غير محتشم تزرنا ● بزورتك المكارم والسماح

(ومر) بعض النبيذيين بجدى سمين فقال ليت شعرى الفلمان من هذا فسئل عن معنى قوله فقال يؤخر اصحابنا الجدى فلا نصل اليه وفينا فضل فهو يفوز الغلمان به (وخبرت) أن بعض المتقدمين كان يذكر ما يصنع لاخوانه من الطعام فى رقعة و يعرض عليهم فمن استطاب لونا حبس نفسه عليه ● و روى ان زيادا كان يقول ما انفردت برغيف قط حتى يشركنى فيه غيرى ولا كان طعاما قط الا اشهوة من يكون معى وانا ارى ان يفتنى الزور وفاجأنى الصديق أن اشافهه بوصف شئ ان كنت تقدمت باصلاحه وان قل واشهيه ولا أحتشم ان اقترح متعذرا ان آونسه وأقترح فى منزل صديق ولا اسومه ما اعلم ان حاله لا يحمله فان استدعيت من الطباخ شيا عرفته بالالف واللام ولم اجعله نكرة كما يحكى عن بعض المتكبرين من المموهين ودعا قوما فقال لغلامه فى آخر طعامه هات حلوا ان كان عندك فقال له الغلام وكان عليه مدلا ما عندى الا الفالوذج الذى عقدته بيدك ● ودعا رجل رجلا فقال له هل لك ان تصير معى الى المنزل فنا كل خبزا وملحا فظن الرجل ذلك القول منه على المجاز فمضى معه فلم يزده على الخبز والملح شيا فبينما هما يا كلان اذ وقف سائل بالباب فرده صاحب المنزل مرارا فلم يبرح والح فقال له ان انصرفت والا خرجت اليك فهمت فالك قال فقال له المدعو يا هذا انصرف فانك لو عرفت من صدق وعيده ما قد عرفت من صدق وعده ما تعرضت له

باب الشرب وكثرتهم وقلتهم

فاما كثرة عدد الشرب وقلتهم فهم يسمون الاثنين منشارا ويكرهونهما وكان الثلاثة أتم مجلسا لان الاثنين ينهض أحدهما لبعض شانه فيبقى الآخر وينفرد وربما عرض له الفكر فلا يكون لجيبه من يخاطبه في مؤانسة وليس كذلك أمر الثلاثة وعندى الاربعة أحسن لان الثلاثة اذا اشتغل الاثنان بالحديث لا يعرف الثالث سببه وابتداءه يحتشم لا محالة ويبقى نفسه والاربعة يتكافؤن فهم أركان المجلس وفي الاربعة يقول بعض الكتاب

ثلاثة أصفيتهم هواى * كأنهم كواكب الجوزاء
عطاردیون یرون رأی * كأنما هواؤهم هوائى

وانما ذكر ثلاثة هو رابعهم وقال آخر

ثلاثة يجمعوا الى فى ثلاث منى * وكنت رابعهم يوم الثلاثاء

وقال آخر فى الثلاثة

انا لثالث تدعونا اذا ما دعوتنا * دعابهم ودمستين على نهر
فلا خير فى الندمان الا ثلاثة * سواء كامثال الاثافى من القدر

وقال آخر فى وصف الندامى من واحد الى سبعة

ان المعاقر كأسه متفردا * من صحبه نحس لئيم أرجس
واثنان يشتد الندام عليهما * وثلاثة بهم يطيب المجلس
ولقد يلذ حديث أربعة لهم * فيطيب مجلسهم معا والانفس
والغاية القصوى أراها خمسة * فى دورهم نفس لمن يتنفس

واذا هم كثروا فصاروا ستة * عطشوا لحبس الكاس ساعة يحبس
واذا تجمع سبعة فى مجلس * سخنت لهم دون السعود الانحس
وظللت فى سوق المراء معسكرا * وترى حلومهم بجهل تغلس
ويجوز المعاشرون فى الطعام ولا يتحملون كدر الشراب وغلظه ويسير الرائق الجيد من الشراب يبقى على مقصر الطعام والكثير من غليظ الشراب يفسد كل ما يولغ فيه من شريف الطعام وزمان المشاربة أطول من زمان المؤاكلة وقال الحسن بن هانى فى مدح رائق الشراب وذم غليظه

من شراب كأنه نظر المعشوق فى وجه عاشق بابتسام
لا غليظ تنبو الطبيعة عنه * نبوة السمع عن شنيع الكلام

وقال الوليد بن عبيد البحترى

تركت مشمس قطربل * وجرعتنا دقل الدسكره
اذا صب مسودة فى الاناء * فكأس النديم به محبره

وقال على بن العباس الرومى

على أحمد من الدوشاب * شربة نفست سواد الشباب
لو ترانى وفى يدى قدح الدو * شاب أبصرت بازيا رغراب

ولى فى هذا المعنى

لابى الفضل شراب * جيد ليس يعاب
هو فى حال طعام * وهو فى أخرى شراب

باب السماع

فاما السماع الطيب فلو اقتصر به عليك داعيك من دون كل

ما كول ومشروب لقضى حقك واحسن معونتك وتعو يضك ويشهد بتحقيق ذلك خبر الداعي في البيتين اللذين سمعه سامع يتغنى بهما وهما

وكنت اذا ما زرت ليلى بارضها
أرى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ود جليسها
اذا ما قضت احدوثة لو تعيدها

فاطرب به وأعجبه حتى مال اليه فاستعاده فاعادهما وقال والله لو كان عندي قرى ما أعدتهما وقال آخر

لابي جعفر سماع عجيب * جمع اللهو فيه والاطرابا
فالندامى به غنيون عن ان * يتمنى مطعما لهم وشرابا

وذلك أن الغناء شيء يخص النفس دون الجسم فيشغلها عن مصالح الجسم كما أن لذة المأكول والمشروب تخص الجسم دون النفس (وقالت) الحكماء الغناء فضلة في المنطق أشكلت على النفس فاخرجتها ألحانا فاقول انها الى الالحان أميل اذ كانت هذه سبيلها أشد اصغاء منها الى ان قد تميز لها وصح معناه عندها من سائر منطقها حرصا على معرفة غامضها وشوقا الى استفتاح منغلقها وهي الى تعرف مالم تعرف اتوق منها الى ما قد عرفت وكذلك المثل العجيب والبيت النادر كلما دق معناه ولطف حتى يحتاج الى اخراجه بغوص الفكر عليه واجالة الذهن فيه كانت النفس بما يظهر لها منه أكثر التذاذا وأشد استماعا مما تفهمه في أول وهلة ولا يحتاج فيه الى نظر وفطنة وليس الاثير فهما وبعد غايتها (وأقول) أيضا كما أن الالحان

أشرف المنظوم فكذلك النفس الطروب اليها المستخفة لها أشرف الانفس وكل ذى ذهن لطيف ونفس فاضلة أحرص على السماع وأحن اليه بالمشاكلة (وكتبت) الى بعض من كان يزهد فى السماع

ان كنت تنكر أن فى الالحان فائدة ونفعا
فانظر الى الابل التى * هى ويك اغلظ منك طبعا
تصغى لاصوات الحدا * فتقطع الفلوات قطعا
ومن العجائب أنهم * يظمونها خمسا وربعا
فاذا تورّدت الحيا * ض وشارفت فى الماء كرعا
وتشوّفت للصوت من * حاد تصيخ اليه سمعا
ذهلت عن الماء الذى * تلتذه بردا ونفعا
شوقا الى النغم التى * أطربنها لحنا وسجعا

وحق من أمتعك بسماعه واشركك فى اخص لذاته وسوّى بينك وبينه فى استماع نغمه من لعله يغار عليه من ظله ان تجعل ثوابه على هذه التكرمة غض طرفك عن الجهة التى تلى الستارة والناحية التى تاتى منها النغمة حتى لا يكون باطن الستارة باخفى عنك من ظاهرها ولا تحتاج ان يخرج بك الطرب عن حد الحرية والادب فتلج بالاقتراح وتحقق بالعلم بالغناء والحذق بالاعراب فتتبع العثرة وترصد الهفوة فان سمعت مجازا لحنته وان مربك زحاف عبرته ووزنته وقد قيل النحو بين الملا تقريع ومن قل علمه كثر رده والعربية أكثر من أن يخطئ فيها متكلم وأنفس القينات آبية

ومعهن أنفة وحمية فمن استعمل معهن هذا فهو ابدا عليهن ثقيل وعندهن مقيت لا يعدم أن تراقبه الواحدة وتكايده فتمال ان حضرته مدل عما استحسن فتقطع الصوت عند اتصاله وتتربص بجيد الغناء الا انصرافه ولبعض أصحابنا في غض الطرف عن الستارة

انى على ما فى من * عهد الشبيبة والنضاره
لأغض من طرفى وبا * منى النديم على الستاره
وأعف خلق الله عن * جار أصافيه وجاره

(وكتبت) الى بعض أصدقائنا وكان له سماع مطرب وغيرة مفرطة

ان شئت فاستر على سماعك أو * ان شئت يوما فعطل السترا
فان عندى من العفافة ما * تحمده منظرا ومختبرا
أمكن أذنى من السماع ولا * أمكن ألحاظ عينى النظرا

باب المحادثة

فاما سبب النديم الذى هو رأس ماله وأنفس أعلاقه فهو المحادثة وهى أخف اللذات مؤنة وأقلها اتعابا للحاسة وقد قيل لشيخ فان ما بقى من لذاتك قال استماع الملح (وقال) المهلب العيش كله فى الجليس الممتع وجوّد على بن العباس الرومى

وسئمت كل مآربى * فكأن أطيبها خبيث
الا الحديث فانه * مثل اسمه أبدا حديث

وسألت فنن وهى جارية أديبة كانت من آدب الجوارى فى زمانها

مسلما المعروف بالمتيم فى مذاكرة جرت بينهما طويلة فقالت أى الامور عندك ألذ واشهى محادثة الرجال أم استماع الغناء أم الخلوة بالنساء فقال سألت عن أمور لا تحسن محادثة الرجال الا بحسن التفهم ولا الغناء الا بشرب النبيذ ولا الخلوة مع النساء الا بالموافقة وسعة القدرة قالت فأى الثلاثة تختار قال محادثة الرجال ومثل قوله لا تحسن محادثة الرجال الا بحسن التفهم قول الآخر تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام وحسن الاستماع امهال المحدث حتى ينقضى حديثه وقلة التقلب الى الجواب والاقبال عليه بالوجه والنظر والوعى لما يقول وان تصغى الى حديثه ولا تشغل طرفك عنه بنظر ولا أطرافك بعمل ولا قلبك بفكر ولا تسابقه الى حديث يبدأ به لمعرفتك بذلك الحديث بل تريه من الارتياح له والتعجب منه ما توهمه أنه لم يخطر ببالك ولا وقر فى سمعك وأمتع الناس حديثا أحسنهم افهاما ومن أدب الحديث أن لا يقتضب اقتضابا ولا يهجم عليه وان يتوصل الى اجترار ما يشاكله ويسبب له ما يحسن أن يجرى معه فى غرضه حتى يكون بعض المذاوضة متعلقا ببعض على حسب قولهم فى المثل الحديث ذو شجون يعنى بذلك تشعبه وتفرعه عن أصل واحد الى معان كثيرة وأن لا تبتدئ حديثا ثم تقطعه وتعد باتمامه كأنك رويت فيه بعد ابتدائه ولتكن التروية له قبل التفوه به فان احتجار الحديث بعد ابتدائه سخف ولا يتسع للنديم من العذر فى اكثار الصمت ما يتسع للكاتب لان ذلك ينزل من الكاتب على الفكر فى

تدبير الاعمال وتنظيم الامور والانتظار لان يسئل فيجيب أو يستشار فيصيب وهو من النديم مع انقطاع وقلة امتاع كما قال بعض أصحابنا

وصاحب أصبح من برده * كالماء فى كانون أوفى شباط
ندمانه من ضيق اخلاقه * كانه فى مثل سم الخياط
نادمته يوما فالفيته * متصل الصمت قليل النشاط
حتى لقد أوهمنى أنه * بعض التماثيل التى فى البساط

وقال بعض العلماء اذا لم تكن المحدث أو المحدث فقم ومع ما قلناه من اكثار النديم الحديث فاحلى حديثه وأحسن لموقعه أن يتنكب منه الطوال ذوات المعانى القلقة والالفاظ الوحشية التى يفنى باقتصاصها زمان المجلس وتتعلق بها النفوس وتحبس على أواخرها الكؤس فان ذلك بمجالس القصاص أشبه منه بمجالس الخواص ولم يزالوا يمدحون الاحاديث بالقصر كقول امرئ القيس

وحديث الركب يوم هنا * وحديث ما على قصره

وقال آخر

اذا هن حدثن الحديث قصرنه * ومنيتنا أن الحديث يعاد

وقال عبد الله بن المعتز

بين أقداحهم حديث قصير * هو سحر وما سواه كلام

وقال آخر

كم من حديث قصير لى أصيد به * قلب الفتاة وأشعار أسديها

وقال آخر لا تجعلوا مجلسكم حديثا كله ولا انشادا كله ولكن

امزجوه واجعلوا له من كل شئ نصيبا * ومن أدب الحديث أن لا يكثر المحدث التبسم والقهقهة * وقال لحجاج بن سلمة لما توكل لما دعاه الى منادمته في خصال لا تصلح معها منادمة الخلفاء قال وما هي قال سلس البول وأتبسم اذا حدثت ولا أقدر من الشرب على اكثر من رطلين فقال له من حق صدق ذلك عنها ان نسامحك بها فصحبها * وقد اختلف رأيهم في موقع الحديث على الطعام فاستحسنه قوم وكرهه آخرون وهو من صاحب المنزل والمائدة أحسن منه من الاكيل والزائر كما قال بعضهم

صادف زادا وحديثا ما اشتهى * ان الحديث طرف من القرى

(ويستجاد قول بعض المحدثين)

كيف احتيالي لبسط الضيف من خجل
عند الطعام فقد ضاقت به حيلي
أخاف ترداد قولي فاحشمه
والصمت ينزله مني على البخل

(وأكل) عندي بعض المجان من النبيذيين فسمعني وأنا أحمد الله عز وجل في وسط الطعام لشئ خطر ببالي من نعمه التي لا تحصى فنهض وقال أعطي الله عهدا ان عاودت وما معنى التحميد في هذا الموضع كأنك أردت ان تعلمنا انا قد شبعنا ثم مال الى الدواة والقرطاس وكتب ارتجالا

وحمد الله يحسن كل وقت * ولكن ليس في أولى الطعام
لانك تحشم الاضياف فيه * وتأمرهم باسراع القيام

وتؤذنهم وماشبعوا بشبع * وذلك ليس من خلق الكرام
ولست أرى بالحديث من الزائر والمزور بأسا الا أن أحسن حديث
النديم على الطعام وأليقه بالحال التي هو فيها أن يكون في معنى الطب
وذكر الاغذية ومحمودها ومكروهها فان أحس من صاحبه بخلا
صلح أيضا أن يذكر له طرفا مما جاء في تخفيف الطعام والتملؤ منه
والاخذ بقدار الحاجة اليه وما يقيم الجسم دون ما يتعرض به للتخمة
وذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم اجعلوا البطن اثلاثا ثلثا طعاما
وثلثا شرابا وثلثا نفسا ثم مثل قول متمم بن نويرة
لقد كفن المنهال تحت ردائه * فتى غير مبطان العشيات اروعا
يريد أنه كان يؤثر الاضياف بالزاد على نفسه وهو لا يستوفي منه
شبعه وقال المبرد لانه كان يؤخر العشاء الى الليل انتظارا للطارق
وقول حاتم
واني لاستحيي رفيقي أن يرى
مكان يدي من موضع الزاد بلقعا
وكنت اذا أعطيت بطنك سؤله
وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا
وقول الآخر البطنة تذهب الفطنة وقول الآخر عاهة الشبع
أشد من عاهة الجوع وقول بقراط الاقلال من الضار خير من
الاكثار من النافع ثم ان استشاره في نقل أو عشاء لم يشر عليه
الا بما لطف من النقل وحاد به عن الطعام وخوفه عاقبته وان كان
سخيا كولا ذاكره بما يعجبه وتشاكل مذهبه في اجادة قوة الشهوة

للاكل والاكثار منه وما فيه من اللذة كقول بعض الاطباء الاكل والنكاح وكقول الآخر

حسن اكل الفتى يدل على ايثاره ضيفه وبسط اكيله
وتراه يقل منه فيدعو * ذاك أضيافه الى تبخيله

(وحكى) أن الحجاج أصبح جائعا فقال لجلسائه ما خير الغداء فقال ابن القرية بواكره أيها الامير قال ولم ذلك وهل هو كذلك فى كل أوان قال نعم ان كان الزمان شتاء فلطول الليل وهضم المعدة للطعام وان كان قيظا لبرد الماء وقلة الذباب

باب غسل اليد

قد اصطلح الناس على اجلال رؤسائهم وملوكهم عن غسل أيديهم بحضرتهم واستجاز واذلك مع نظرائهم ومن يسقط التحفظ بينه وبينهم ولو آثر الناس الاعتزال لغسل الايدى من الغمر مع كل طبقة حتى لا يرى بعضهم بعضا لكان ذلك عندى أليق بالظريف وأشد امكانا لما يحتاج اليه من استقصاء الغسل والمبالغة فى التنظيف واجالة الانامل فى اللهوات والخلال فى الاسنان وتفله وما أشبه ذلك مما لا يشك أحد ان ستره عن عين المحب والمبغض والرفيع والمتواضع أحمد من اطلاعه عليه ومحال ان يكون الرؤساء والملوك ذهبوا غير هذا المذهب وأن يظن بهم فيه الكبر ويوهم عليهم العجب وأن المرء يتأذى أن يرى ذلك من نفسه فكيف من غيره وربما يحسن الرئيس ويجمل فيقول لنديمه اغسل يدك مكانك

ولا تنزعج فالغبي يتغنم ذلك والفطن يأباه ويغلب الادب فيخف على الادب ويستفيد الحظوة ويأمن الاول التثقيل فيثقل ولو كان الحكم في هذا اوجب من الترتيب فيه والاجتماع عليه مثل ما توجبه المؤاكلة لحسن أن تجتمع الايدي في الطست الواحدة كما تجتمع في مائدة واحدة هذا بعد الطعام فاما قبله فجائز أن تغسل اليد بين يدي الرئيس والنظير في طست واحدة وغسل رجل مع المأمون يده وابطأ الطعام فسبقته يده الى رأسه فقال له المأمون أعد غسل يدك وقال لا بل غسل اليد الا الخبز وقال رئيس سنن العرب المضمضة والسواك والاستنجاء ورئيس سنن العجم الخلال وغسل اليد قبل الطعام وسبيل رب المنزل ان يبتدئ بغسل اليد فيكون أولا قبل الطعام وآخرا بعده يبتدئ في الاول حشمهم وفي الحالة الثانية يتوخى تعجيل اماطة اذى الغمر عن أيديهم هذا مع الاكفاء والمعاشرين فاما العظماء من ذوي السلطان فالاولى بمنادمتهم المبالغة في التخفيف عن أعينهم وقلوبهم والتناهي في اعظامهم وتبجيلهم فاما الخلال والانفراد به والتخلي له فاصون وأحسن على كل حال

باب ادارة الكاس

فاما حكم الكاس في ادارتها فان الادب فيه موافق لسنة الاسلام ومذهب الجاهلية لم يغيره ولم يبدل به لانه روي عنه صلى الله عليه وسلم انه أتي بسقاء من لبن فشرب منه وكان عن يمينه غلام حدث السن وعن يساره رجل من مشيخة أصحابه فدفعه عليه السلام الى

الغلام وقال الايمن فالايمن وعمايدل على مذهب الجاهلية في مثل هذا قول عمرو بن عدى وجماعة من العلماء ينسبون ذلك الى عمرو ابن كلثوم

تصد الكاس عنا أم عمرو * وكان الكاس مجراها اليمينا
وما شر الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذى لاتصبحينا

باب الاكثار والاقلال

ومما يغلط فيه أكثر المنادمين وجمهور المتعاقرين افتتاح الشرب بالقدح الصغير والترقى منه الى الكبير وهم بالابتداء بالكبير في حال جمامهم وحاجتهم الى هضم طعامهم وأبين مجالسهم أولى حتى اذا ترفضوا وانتشوا كانوا بالنزول الى الصغير أولى وبالابقاء على عقولهم أحرى وربما لم يكن غناؤهم ممتعا في تعجيلهم الطرب بالكبير على تقصيره وبغطى ارتياحهم على عبوبه ولو صادفهم على غير تلك الحال الحقهم الفتور وقل نشاطهم للكبير فاما الاكثار والاقلال فليس النديم فيهما مختارا ولا علة أحدا تبين منه كبير بخل على النبيذ والاغلب على أكثرهم اجبار النديم على الشرب والحيف عليه واستثقاله اذا أبي وامتنع أو تمنع ولا عيب على النديم في السكر اذا كان مجبورا عليه كما وصفنا وتغفر له فرطاته وعثراته كما قال العطوى

فمن حكمت كاسك فيه فاحكم * له باقالة عند العثار

وكما قال على بن الجهم

والقوم اخوان صدق بينهم نسب * من المودة لم يعدل به نسب
تنازعوا درة الصهباء بينهم * وأوجبوا الرضيع الكاس مايجب
لايحفظون على السكران زلته * ولا يريبك من أخلاقهم ريب

والاصل فى هذا مايحكى عن المأمون من قوله النبيذ بساط فاذا رفع فاطووه الا أن يكون النديم هو المستدعى للشرب والمواصل للنخب من غير ثقة منه باحتمال ذلك فيلزمه التبعة وتعصب به الجريرة فاما الرئيس ذو الملك والامر النافذ فلو كان السكر أو مقاربته حلالا لا اختلاف فيه لكان علىه حراما لا اختلاف فيه لان بادرته الى نفسه وغيره لا تستقال وأمره لا يراجع لانه يقهر ولا يقهر ويجير ولا يجبر عليه وقلما سمعنا بحادثة فظيعة وغدرة قبيحة وسطوة عظيمة استجازها ملك وجناها على نفسه أو نديمه أو حرمه أو سائر من يخصه الا على سكر ثم يقع عليه بعد ذلك الندامة ويلحقه ما لا تلافى من العار والسبة فمن تهيأ عليه ذلك من ملوك الجاهلية جذيمة بن مالك الابرش صاحب الحيرة وغيره مشهور ومن ملوك الاسلام الوليد بن يزيد بن عبد الملك فانه لم يزل يهمل الامور ويواصل السكر مصطبحا ومغتبقا حتى انتشر أمره واضطرب حبله فقتل وجماعة كثيرة كان السبب فى هلاكهم وهلاك من يخصهم اختيارهم السكر ومطالبتهم به ندمانهم ولو ذهبنا الى تعدادهم وشرح قصصهم لخرجنا بالكتاب عن حده

باب طلب الحاجة والاستماحة على النبيذ

ويقبح بالنديم ان يستميح الرئيس على سكره فانه يرى ان ذلك يجرى مجرى الخديعة ويدخل فى باب الحيلة وذكروا ان بعض الاجواد لم يكن يعطى أحدا على الشراب شيئا حتى يصحو اشفاقا من أن يقال ان السكر حداه على السماحة وكان ذلك فيه عارضا فان عدل عن المسئلة فى أمر نفسه واستماح لغيره كان ذلك داخلا فى باب حسن المحضر والحض على الكرم وخرج عن باب التغنم واللؤم فانه يقال ان كثرة الاخذ لؤم كما ان كثرة الاعطاء كرم ٭ وكان العتابى واقفا بباب المأمون فجاء يحيى بن أكثم فقال له العتابى ان رأيت أن تعلم أمير المؤمنين مكانى فقال لست بحاجب فقال قد علمت ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان فقال له سلكت بى غير طريقى فقال له ان الله عز وجل قد أتحفك بجاه ونعمة وهما مقيمان عليك بالزيادة ان شكرت وبالتغيير ان كفرت وأنا لك اليوم خير منك لنفسك أدعوك الى ما فيه زيادة نعمتك وأنت تأبى ذلك على ولكل شئ زكاة وزكاة الجاه بذله للمستعين فدخل الى المأمون فاخبره الخبر فامر للعتابى بثلاثين ألف درهم فاما اذا لم يشب المجالسة والمحادثة النبيذ والمراضعة ودفعت ضرورة الى المسئلة فالاحسن فى ذلك أن لا يبتدئ بالسؤال محضا وان يتوخى له من الاحاديث والمعاريض ما يندرج السؤال فى تضاعيفه على ألطف ما يمكن فى ذلك وأقربه من النادرة والفكاهة كما فعل المفضل الضبى وبات المهدى فلم يزل يحادثه ويناشده حتى جرى ذكر حماد الراوية فقال له المهدى ما فعل عياله ومن أين يعيشون قال من ليلة مثل هذه كانت له مع الوليد بن يزيد

باب هيئة النديم وما يلزمه لرئيسه

وحكمه ان يحضر بزى الموكب ولبسة الخدمة والزى الظاهر الذى يعرفه ويشهد فيه المجالس الحافلة من غير أن يتفضل بشئ من ثيابه ولا يتشمر فان شاء الرئيس أن يغير زيه ويكرمه بشئ من ثيابه تخلع عليه الملون والمشهور من أثواب الندام حسن أن يلبس ذلك فى وقته حتى ينقضى المجلس ولم يحسن أن يحضر فيه ظاهرا فى مجلس آخر لانه شئ كان الرئيس اختاره فى ساعة طربه وتبذله لا فى كل أوقاته فاما العمامة والخف فسبيله أن لا يخل بهما وله أن يلطفهما ويخففهما وانما الغرض فى ملازمتهما أن لا يحسر الرأس وتبدو القدم ويذهبون بذلك الى اجلال السلطان العظيم عن مشاركته فيما اتسع له من التبذل والتضجر فى الزى الذى لا مشقة ولا ثقل فيه والانفراد منه بما يتفصل به عمن هو دونه وهذا مما يسلك فيه سبيل ملوك الاعاجم وكانوا رسموا لكل طبقة من طبقات أهل ممالكهم برسم من الزى ليتميزوا ولا يشتبه سوقة بملك ولا دنىء بشريف ولا تابع برئيس ولكل أهل عصر زى الا أن الاكثر والاشبه بأهل عصرنا وما قرب منه ما ذكرناه والحجة فى استحسانه وايثاره ما بيناه ومما يأخذ به نفسه الاسراع فى الخطو اذا كان حيث يراه الرئيس حتى تكون مشيته ارقالا ولا تكون اختيالا ولهذا وما أشبهه من التحفظ صار ندام النظير أنعم وأترف وان كان ندام العظماء أجل وأشرف وخبرت عن الطبقة العالية من ندماء الخلفاء الماضين انهم كانوا يجمعون

في منزل أحدهم فاذا مشى بعضهم في ذلك الموضع مشى مسرعا
وسئل أحدهم عن السبب في ذلك فذكر انه انما يفعله في كل
موضع وان كان لا يلزمه الا في مجلس الخليفة حذرا من أن يخل
بالعادة فيعدل عنها في موضعها فاستحسنت تلك الرياضة * ومما يلزمه
أن يتحفظ منه أيضا ويروض نفسه به أن لا يصححه ولا يعيبه ولا يشمته
ولا يستخبره وانما ترك ذلك كله لما فيه من تكلف الجواب وليس
من حق المنادم ذا الرياسة والسلطان اذا تبين لنديمه منه لين الخلق
ووطاء الكنف وخلع ثوب الكبر أن يستعمل معه من الدالة
ما يجحد حق رياسته ويقدح معه في سلطانه ويفسد عليه تدبيره
ويقال ينبغي لمن خص بالسلطان أن يستعد للذنب ليجتنبه وأن
يكون آنس ما كان به أوحش ما يكون منه فان سلم من ذلك كله
فواجب عليه أن لا يخل بتوقي الملال والتحرز من وقوعه وقد قال
عبد الله بن جعفر من أعظم الخرق الدالة على السلطان * وبينا
المأمون ينادم ابراهيم بن المهدي بعد رضاه عنه وتغمده ما كان منه
تبين منه دالة اذكرته بما تقدم من ذنبه فنهض وأمر باقراره ومن
كان معه على حالهم ثم صار الى مجلس جده فاستوى على سريره مرتديا
بزي الخلافة واختصر القضيب وتجلبب بالبردة وجمع الجنود في
السواد والاسلحة ومد السماطان وشهرت السيوف والاعمدة
ثم احضر ابراهيم متعتعا فوقف ماثلا بين يديه اطرق عنه مليا ثم
رفع رأسه وابراهيم يرعد فقال يا ابراهيم ما حملك على ما كان منك قال
كرم خلال صاحبه يا أمير المؤمنين فكنت جديرا بحفظه عليه

حتى أعاده الله اليه وقد سبق من عذر أمير المؤمنين ما لا أخاف عليه المؤول عليه فقبل عذره وأحسن جائزته ورده الى مكانه وعاد المأمون فى مجلس الندام من وقته (وخبرنى) أبى عن أبيه رحمهما الله قال كان ينادم اسحق بن ابراهيم الطاهرى جوهرى من جلة التجار ووجوههم حتى خص به وتبين لطائف مروءته منه ولم يكن أحد يتقدمه عنده وكانت فيه دالة وممه أدب يستحق له تلك المنزلة قال فانه لهم ذات يوم والستارة منصوبة اذ وصف للمتوكل فص كبير جليل المقدار كان وقع الى هذا الجوهرى فوقع الى اسحق باحضار هذا الرجل ومطالبته بالفص ومناظرته على ثمنه ووافى التوقيع فلما نظر اليه دعا بالجلادين والسياط فأمر بتجريد الرجل فقال أيها الامير ما قصتى ما سببى فلم يذكر له شيأ حتى نصب بين العقابين وكاد السوط أن يأخذه فلما علم انه قد رهب وسكر قلبه من الرعب والهيبة ما انساه الدالة والمنادمة قال له فص عندك من حاله وصفته فقال احضره الساعة فيأمر الامير باطلاقى حتى آتيه به قال لا سبيل الى ذلك فدعا بدواة وقرطاس وكتب وهو فى تلك الحال الى ثقته فى منزله بعلامة قوية وأمر باحضاره الفص فاحضر فى منديل وختم عليه وأنفذه ثم قام بنفسه الى الرجل فتولى حل وثاقه واعتنقه وخلع عليه من فاخر كسوته وقال لم يكن من حق السلطان الا ما رأيت ولو لم أفعل ذلك لما أمنت دالتك ولا كنت تخرج مثل هذه العقدة النفيسة بجميع اعطائك ولحقنى من امير المؤمنين ما يفسد حالى وحالك فسكن الرجل الى عذره وقبله

باب ما يلزم الرئيس لنديمه

قد ذكرنا من حال الرؤساء فيما يستبدون به دون ندمائهم لجلال السلطان وخطر الرياسة ما أوجزناه وليست تلك الحال خاصة الا للملك الاجل الذي لا يسعه الا الاخلال بالهيبة فاما من دونه فالانصاف في المنادمة واغلاق باب التدفع والتحفظ وايثار الانبساط والتبذل أولى بهم وأدل على كرم العشرة وحسن الصحبة وعلى انه قد كان من الخلفاء والامراء من يتوخى هذه الحال مع جلسائه ومنادميه كفعل عمر بن عبد العزيز وطرقه رجاء بن حيوة فنهض فاصلح السراج وعاد الى موضعه فاكبر ذلك رجاء فقال قمت وأنا عمر وعدت وأنا عمر * ويزيد وكان ينادم الاخطل وهجا الاخطل الانصار هجاء كثيرا فاجاره منهم وكان يسوي بينه وبينه في أكرم المواضع من مجلسه وهو أمير * والوليد بن عقبة ولم يزل ينادم أبا زبيد الطائي واليا ومعزولا على وتيرة واحدة من الانصاف لا ينتقل عنها ويجله ويعظمه ولا يقدم أحدا عليه حتى هلك أبو زبيد فوجد عليه وجدا شديدا ثم اعتل فيقال انه دفن الى جانبه ومر بقبريهما أشجع ابن عمرو السلمي ومعه صديقان له يقال لهما حمزة وسعيد فوقف بهما ثم قال

مررت على عظام أبي زبيد * رهينا تحت موحشة صلود
نديم للوليد ثوى فاضحى * مجاور قبره قبر الوليد
وما أدري بمن قصر المنايا * بأشجع أو بحمزة أو سعيد

فيقال انهم ماتوا على هذا النسق اولا اولا * والوليد بن يزيد بن عبد الملك نديمه أبو كامل الذي يقول فيه

من مبلغ عنى أبا كامل * أنى اذا ما غبت كالذاهل

وحكى عن الرشيد من حسن المجالسة ولطف البر فى الموا كلة ما يجاوز هذا كله رهوان الفزارى قال دخلت اليه بالرقة فى قصر الخشب ولم يكن معه انا الا شخص من يقوم بين يديه من خاصة حشمه فتحاورنا مليا ثم أومأ الى بعضهم فجاء بطبق كبير مغطى بمنديل فاستخرج رطبة فأكلها ثم استخرج أخرى فأومأ بها الى فقمت فتناولتها وقبلت يده ثم أمر برفع المنديل فلما رفع لم أر فى الطبق شيأ فقال انه كان فيه رطب أهدى لنا من العراق ولا تحين الرطب ولم يكن فى غير ما رأيت فعلمت انه أمر بتغطيته ائلا أرى قلته فامتنع من أكل الرطبة التى ناولنيها وآثرنى بها وفرها على * وقد رأينا جماعة من جلة الرؤساء وعظماء أصحاب السلطان يبتذلون أتباعهم ويمتهنونهم فى الخدمة فيما يرفعون عن مثله بعض مماليكهم فاذا خلوا معهم للمنادمة اسقطت بهم الحشمة فأوسعوهم من المبرة والتكرمة وربما تجاوزوا فى ذلك الى ان خدموهم وأخدموهم أولادهم واتصبوا وأتكؤهم وتأخروا فى المجالس وصدروهم فلا يقدح ذلك فى رياستهم ولا يحط من منزلتهم بان تسترق لهم قلوبهم ويستخلص به نياتهم وأنشدنى منشد

فتى اذا ما الحرب قامت به * قام مقام الاسد الورد

كأنه عبد لاخوانه * وليس فيه خلق العبد

وقال

(وقال آخر)

وانى لعبد الضيف مادام نازلا * وما فى الا تلك من شيم العبد

ويلزمه أن لا يسقيه من غير ما يشربه الا باختياره واستدعائه شرابا يستطيبه ويرى انه ملائم لجسمه فيسقيه مما يلتمسه من موجوده ولا يمنعه كل ما يستزيده من المزاج ٣ ولو لم يتجنب ما ذممناه فى تلوين الشراب الا لما سار فى هذا المعنى من قول الشاعر

رأيت نبيذين فى مجلس * فقلت لاخواننا ما السبب

فقالوا الذى نحن فى بيته * بفضل قرما سوء الادب

وقال العطوى

نبيذان فى مجلس واحد * لتفضيل مثر على معسر

فلو كنت تفعل ذا فى الطعام * لزمت قياسك فى المسكر

وكان بعض الكرماء يأخذ نفسه باحضار الدن بطينه فيصبه حيث يراه اخوانه ويمزجه ويفرغه بين أيديهم ويملأ منه الآنية حتى يتيقنوا ان الشراب واحد لا خلط فيه * ومن أبين الانصاف فى هذا الباب ان يفرد كل نديم بآلته ومزاجه ويحكم على نفسه ويقلد سقيها على حسب طاقته واحتماله الا من كان متجملا غير متسع فى الآلة والآنية فيهما عجزه وتعذر عليه من ذلك فان العدل فى السقى يمكنه ولا يعجزه ويستحسن لابى نواس نحو هذا

ولست بقائل لنديم صدق * وقد أخذ الشراب بوجنتيه

تناولها والا لم أذقها * فيأخذها وقد ثقلت عليه

ولكنى اجيد الكاس عنه * وأتركها بغمزة حاجبيه

٣ قوله ولو لم الخ جواب لو محذوف تقديره لكان حسنا

فان طلب الوساد لنوم سكر * دفعت وسادتى أيضا اليه

ومثله قول السرى بن عبد الرحمن فى ظرفاء من الحجازيين

اذا أنت نادمت العتير وذا الندى

جبيرا ونازعت الزجاجة خالدا

أمنت بحمد الله ان تقرع العصا

وان يوقظوا من نومة السكر راقدا

وخالف الحسين الضحاك ابانواس فى ابياته فقال

يا مديرالكاس حيـ * ـث على الكاس مديا

ما أقول الدهر أحسنـ * ـت وان كنت مسيا

لست أستعفيك من حيـ * ـفك فى السقى عليا

وفيها يقول

قد حلبت الدهر اطوا * رين خليا وشجيا

فأرى من عدم الصبـ * ـوة والكاس شقيا

وجوّد بعض الكتاب فى قوله

ولست بمستعف من السكر صاحبا

اذا كان يهوى ان اصير الى السكر

ولكننى أسعى الى السكر انفا

بما فيه ان اخطأت من سعة العذر

وان هو أعفانى سكرت ولم أكن

لاكثر من شرب يزيد على القدر

باب الادب فى الشطرنج

واما

واما الشطرنج فليس غرضنا ذكر فضائلها فنعدد من ذلك ما نسهب فيه ونأتي بما ذكره المتقدمون ونجتهد في الزيادة عليه وانما نتوخى التنبيه على ما يحتاج اليه النديم في حال اللعب بها من الادب الذى يقرب به من قلب رئيسه عند مقابلته ايا بجلوسه بين على الشطرنج فانه لا يكون بينهما الا مساحة الرقعة ولعلها لا تزيد على الذراع كثيرا والزمان بينهما يطول فيها فواجب على النديم ان يتحفظ من نفسه ويتعهد من احوال ظاهر جسمه و باطنه وشاهده وغائبه ما يامن معه أن يسبق الى طرف الرئيس وانفه من جهته حال يذمها وايكن على اوكد ثقة بنقاء فيه من الخلوف وثوبه من الدنس ومغابنه من الدرن بتوفية هذه الاشياء حقها من التنظيف والتطييب وليس حق نفسه عليه اذا كان عالى الطبقة ان يخسها حظها ولا يحطها عن درجتها توهما ان تماديه للرئيس ألطف لمنزلته عنده وأعطف بقلبه عليه كانه ليس من الرئيس المصطفى له عليه أن يتصور بصورة من يغالطه ويستخرمنه باعطائه ما ليس له وعلى ان عقول الرؤساء أقوى وفطنهم أرق من أن يجوز عليهم مثل هذا ولم توضع الشطرنج على الانصاف والعدل ويدلك على ذلك ان أصلها التكافؤ والقيام اذا وفى النظر والحساب من كلا الجهتين حقهما وأخبرني أبو الحسين على بن أحمد الكافى ان أبا بكر الصولى لما حضر مجلس المكتفى بالله أمير المؤمنين فى ابتداء دخوله وكان قبله الماوردى أثيرا عنده متمكنا من قلبه معجبا بلعبه فلما لاعبه الصولى بين يديه جعله حسن الرأى فى الماوردى والالف له على نصرته وتشجيعه

وتنبيهه حتى أدهش ذلك أبا بكر في أول وهلة ثم لما اتصل اللعب بينهما وقصد أبو بكر قصده غلبه غلبا لم يكد يرد عليه معه دستا وتبين الحق للمكتفي فعدل عن الهوى وقال للماوردي صار ورد ماء ورد لك بولا * وبلغني أنه رأى بساتين مونقة وزهرا حسنا فقال لجلسائه وندمائه هل رأيتم منظرا أحسن من هذا فكل قال فيه شيأ ذهب فيه الى مدحه ووصف محاسنه وانها التي لا يفي بها شئ من زهرات الدنيا فقال لعب الصولي أحسن من هذا الزهر ومن كل ما تصفون * ومما يستعمل على الشطرنج النوادر المدهشة وأقول انها في تلك الحال بمنزلة الارتجاز الذي يستعمله المقاتل عند اللقاء والحادي عند الاعياء والمائح عند الاستقاء فهي من عدة اللاعب كما ان الشعار والارتجاز من آلة المحارب وقد قيل في ذلك

كم من ضعيف اللعب كانت له ٭ عونا على مستحسن القمر

واستحسنها الا في موضعين * أحدهما عند وقوفك على الضربة الغريبة الحسنة الدقيقة وامكانها اياك بان يكون اللعب لك وفي يدك مثل الشجاع الذي اذا رأى مساغا نابه صمم وان شغلت نفسك بتلك الاعابيث وانت محتمل للعب مرتا للغلب انقطعت بذلك عن الصواب وان لم يكن اللعب في يدك نبهت بما يظهر في ذلك العبث من نشاط خصمك على تقدم الاحتيال قصر زمنه * والآخر عند وقوفك على امكان الضربة الجيدة صاحبك وتمهيتها له دونك فانت بما تستعمله في تلك الحال تشغله وتدهشه حتى يكاد يعمى عن رشده واذا كان القمر لك فاحسن احوالك الترك على الاحسان ان كنت مختارا وكذلك ان

انصل القمر عليك لان الالحاح واللجاج لا يزيدك الا بلادة وقد قيل في الشطرنج اشعار كثيرة فاما طوالها فيكثر فيه الحشو يضطر اليه القائل من الاقتصاص وقلما اقتصت حال في شعر الا كان مضعوفا الا أبياتا كثر الشك فيمن تعزى اليه وأولها

أرض مربعة حمراء من أدم
ما بين خلين موصوفين بالكرم
تذاكرا الحرب فاحتالا لها شبها
من غير أن يأثما فيه بسفك دم
هذا يغير على هذا وذاك على
هذا يغير وعين الحزب لم تنم
فانظر الى خيل جاشت بمعرفة
في عسكرين بلا طبل ولا علم

وأبياتا تعزى الى أبي الحسين أحمد بن محمد بن ابي البغل الكاتب وهي في نصب الشطرنج كيما يرى بها

غرائب لا تسمو لهاء عين جاهل
فابصر أعقاب الاحاديث في غد
بعيني مجد في مخيلة هازل
وأجدى على السلطان في ذاك أنه
اراه بها كيف اتقاء الغوائل
وتصريف ما فيها اذا ما اعتبرته
شبيه بتصريف القنا والقنابل

قوله مخيلة المخيلة بالوزن المعروف ... أه مصححه

فاما النرد ففيها انواع من اللعب وصنوف من الترتيب والنصب الا ان عدد البيوت واحد لا نقص فيه ولا زيادة على الاصل المتعارف والفصان فيها محكمان وصاحبها مع ذلك وان لم يكن مختارا وكان منقادا الى حكم الفصين محتاج الى ان يكون سريع النقل رشيقه صحيح الحساب مصيبه حسن الترتيب جيده ولبعض الادباء فيها أبيات وهي

لا خير في النرد لا يغني ممارسها
فضل الذكاء اذا ما كان محروما

تريك أفعال فصيها بحكمها
ضدين في الحال ميمونا ومشؤما

فما تكاد ترى فيها أخا أرب
يفوته القمر الا كان مظلوما

(وكتبت الى صديق لي اذم النرد اليه وكان بها معجبا)

أيها المعجب المفاخر بالنر
د الذي يزهى به على الاخوان

قد لعمري صرفت جهدي على لبـ
ـث كذا لو لم يأتك الفصان

غير أن الاريب يكذبه الظن
ويفني بشدة الحرمان

ولعمري ما كنت أول انسا
ن تمنى فأخلفته الاماني

وإذا جارت القضاة بحكم
لم يحد عن قضائها النعمان

وأنشدت لأبي نواس في النرد

ومأمورة بالأمر تأتي بغيره
ولم تتبع في ذاك غيا ولا رشدا
إذا قلت لم تفعل فليست مطيعة
وأفعل ما قالت فصرت لها عبدا

انتهى بنا القول إلى هذه الغاية وفي بعض ما قدمنا كفاية لذي التمييز والفطنة وهداية إلى كريم الأخلاق في المنادمة وإن لم نكن أحطنا بما في شرطنا في التثبيت فقد نبهنا بيسير ما تهيأ أن نذكره على الجليل ودللنا بالقليل منه على الكثير ونرجو أن نسلم مع ما قصدنا له من الحض على جميل المروءة ونهجنا من السبيل إلى حسن العشرة مما يسنى به مؤلف الكتاب من المطاعن ويستهدف له من المعايب إن شاء الله تعالى

نحمدك يا من زينت الإنسان بحلية الأدب ورفعت به شأن النديم فسما أسنى الرتب والصلاة والسلام على أشرف من تكملت به الآداب وأفضل من أوتي الحكمة وفصل الخطاب وعلى آله أولي الأخلاق الشريفة وأصحابه ذوي المناقب والفضائل المنيفة (وبعد) فيقول المتوسل بجاه النبي الخاتم خادم التصحيح بدار الطباعة محمد قاسم قد تم بالمطبعة الأميرية ببولاق التي أينعت

ثمارها بسائر الآفاق طبع أدب النديم المسفر عن كل خلق جميل قويم لمؤلفه العلامة الفاضل النحرير اللوذعي الكامل مرصع أطروس بلآلئ نظامه محلى نطاق البلاغة بجواهر كلامه من سجعت ورق ألفاظه بفنون الادب على أفنان المعارف وأشرقت مطالع بيانه بأنوار بدور اللطائف أبي الفتح محمود كشاجم ابن الحسين أنعم الله تعالى عليه في دار الكرامة بما تقر به العين ولعمري انه لكتاب عديم المثال عزيز الوجود بعيد المنال يرشدك كيف تنادم الملوك والامراء وينبهك على شمائل الظرفاء والطفاء فلله دره ما أثمن درره وما أبدع فوائده وغرره يروق الانظار بسلاسة مبناه ويعجب النظار بجزالة معناه هذا وكان طبعه الفاخر ووضعه الانيق الباهر على ذمة من جددت اراؤه فيما يعيد ويبدي سعادة محمد بك جدى في ظل من نضرت به الايام وشمل بهوامع احسانه الانام صاحب السعاده وكوكب أفق السيادة والمجاده من هو باحاسن الثناء على حقيق الخديو الاعظم محمد توفيق لازالت مصرنا آمنة به في ظلال رياض عدله رافلة في مطارف عزه وفضله مشمولا طبعها بادارة صاحب نظارتها المشمر عن ساعد الجد في تحرير انضارها ونضارتها من جواد براعه في ميدان البراعة سباق الى الغايات سعادة على بك جودت مدير الوقائع المصرية وناظر المطبوعات ملوحة بنظر من به المعارف الى ذروة الكمال رقت وكيلها حضرة عبد الله افندى خيرت وملاحظة البارع الامجد حضرة ابى العينين افندى احمد وطالع

بدر تمامه وفاح عبيره ومسك ختامه في أوائل رجب الحرام
عام ثمان وتسعين ومائتين وألف من
هجرة سيد الانام صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه
وكل ناسج على
منواله
تم